

محاضرات في اللغة العربية العامة للأقسام غير الاختصاص

المدرس المساعد
كريم عبد الواحد النصراوي
كلية التربية للعلوم الصرفة / جامعة كربلاء

المحاضرة الأولى

تعريف اللغة

اللغة ظاهرة إنسانية بارزة، وتعدّ من أهم مميزات الإنسان عن غيره من الكائنات، بل هي السّمة الّتي تميّزه عن غيره، لأنّها توجد فيه وحده دون سواه من المخلوقات.

واللغة ظاهرة تعمّ جوانب عدّة، ولذا لم يتفق العلماء اللغويون على تعريف واحد لها، فهناك تعريفات كثيرة بيد أنّها لا تعطي كلّ جوانب الظّاهرة اللغوية، لأنّ كلّ تعريف يعتني بجانب أو أكثر، ويهمل جوانب أخرى، ومن العوامل الّتي ساعدت على عدم تحديد التعريف للغة هو أنّ اللغة تدرس في علوم عدّة، فعلم النفس يدرسها، وكذا علم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، وعلوم الحياة، وغيرها من العلوم، وكلّ باحث في علم من هذه العلوم ينظر إلى اللغة من الجانب الّذي يخصّه.

وعلم الرّغم من عدم الاتّفاق على تعريف محدّد، لا نعدم تعريفات جيّدة تغطي جوانب مهمّة من اللغة. وهذه التعريفات كثيرة، سنذكر منها تعريفاً للقدّامي وتعريفاً للمحدثين. فالقدّامي يقولون عن اللغة إنّها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وهذا التعريف على إيجازه يسلّط الضوء على أهم جوانب اللغة، فهو يقول: إنّها (أصوات)؛ لأنّ أصل تكوين اللغة هو الأصوات، فالأصوات تمثّل الوحدة الصغرى في تكوين اللغة، وهي جوهر اللغة الّذي به تمتاز عن غيرها، ثمّ يذكر التعريف أنّها — أي: اللغة، متمثلة بالأصوات — وسيلة يُعبّر بها كلّ قوم (أي: الشعوب والأمم والجماعات المختلفة) عن أغراضهم أي: عن المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر فهي الأغراض الّتي يريد المتكلّم أن يعبر عنها.

أما المحدثون، فقد قالوا عن اللغة أنها: " ظاهرة سيكولوجية اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي، تستطيع جماعة ما أن تفاهم وتتفاعل ".

وهذا التعريف يشابه سابقه بيد أنه أكثر شرحاً، وأطول عبارة، والمهم فيه أنه يشير إلى أن اللغة ظاهرة متشعبة، ولها جوانب كثيرة أهمها أنها ظاهرة سيكولوجية بايولوجية، أي: نفسية حيائية، فهي ترتبط بعلم النفس، لأن اللغة تعدّ استجابة لمثير، وهذا المثير هو الدافع (أي: الحاجة) التي يريد المتكلم التعبير عنها، وهي بايولوجية؛ لأنّ النطق يتمّ في جهاز يرتبط بأعضاء الجسم كاللسان، والشفيتين، والحنجرة، ومن جوانب اللغة الأخرى أنّها اجتماعية، أي: أن المجتمع يستعملها ليتواصل بقاؤه، وهي كذلك ثقافية، أي: تنقل الأفكار العلمية، والمعارف من فرد إلى آخر، وهناك جوانب أخرى في هذا التعريف تدخل في مجال الاختصاص اللغوي الدقيق.

المحاضرة الثانية

نشأة اللغة

غنى اللغويون كثيراً بموضوع نشأة اللغة، واللغة هذا النظام المتماسك المحكم، الذي يقوم بهذه الوظيفة العظمى، من غير المعقول أن يكون نشأ من غير آلية توازي حجمه وأهميته، وقد أجهد الباحثون أنفسهم في محاولة الكشف عن سرّ نشأة اللغة لكنهم لم يتوصلوا إلى الحقيقة القاطعة، بل وصلوا إلى افتراضات وتخمينات، وصاغوا على أساسها آراءهم في نشأة اللغة بصورة نظريات عدّة، أبرزها:

١- نظرية التوقيف: وتفترض هذه النظرية أنّ اللغة نشأت عن طريق (الوحي) من الله - سبحانه وتعالى - إلى الإنسان المتكلّم الأوّل، وهو آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)، وبُنِيَ هذا الافتراض على ما ورد في القرآن الكريم في قصة خلق آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)، فقد قال جلّ وعلا: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة ٣١)، وكذلك على ما ورد في العهد القديم من الإنجيل من أنّ الله تعالى دعا كلّ حيوانات البرية، وكلّ طيور السّماء، فاحضرها إلى آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)؛ ليرى ماذا يدعوها، وكلّ ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السّماء، وجميع حيوانات البرية. (سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الآتيان: ١٩ و ٢٠).

٢- نظرية الاصطلاح: وتفترض هذه النظرية أنّ اللغة وضعت عن طريق التواضع والاتفاق. أي: أنّ اللغة ارتجّلت ارتجالاً وخلّقت خلقاً من قبل الإنسان، فعندما يطلق لفظ ما على معنى ما، ويشيع بين الجماعة المتكلّمة، يثبت هذا المعنى لهذا اللفظ الذي أطلق عليه.

٣- وهناك نظريات أخرى قيلت في كيفية نشأة اللغة، ويمكن تلخيص هذه النظريات بأنها تبنى على افتراض أن اللغة نشأت محاكاة للأصوات الطبيعية الصادرة من الطبيعة أو الحيوانات. فأصوات الحيوانات كصهيل الفرس، ونعيق الغراب، وأصوات الطبيعة، كأصوات الرعد، والماء، وغيرها يقلدها الإنسان، ويطلقها على مصادرها، فيسمي كل مظهر من مظاهر الطبيعة، أو حيوان بصوته الذي يصدره.

وقريب من هذا الافتراض ما يصدره الإنسان في حالاته الانفعالية، فعندما يتوجع يصدر صوتاً عفوياً هو (أخ)، وعندما يضجر يصدر صوت (أف)، وتدرجياً نشأت اللغة عن طريق تقليد هذه الأصوات.

ومن الضروري في هذا البحث أن نثبت أن البحث في نشأة اللغة أمر فيه التخمين أكثر من الحقيقة؛ والسبب في هذا أن المتكلم الأول سواء أكان آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)، أم غيره من البشر، عاش في زمن بعيد جداً عنا، ولم تصلنا عنه الأدلة العلمية التي يطمئن بها قلب الباحث؛ ليقطع بنظرية نشأة اللغة، ولذا نقول: إن كل هذه النظريات، وغيرها لا تفسر كيفية نشوء اللغة بالطريق العلمي المقنع، لأنها بنيت على تخمين لا على دليل علمي. بيد أنها تعطينا تفسيرات جزئية لنشأة اللغة، ولعل البحث في القادم من الزمن سيكشف لنا عن حقائق جديدة.

المحاضرة الثالثة

وظيفة اللغة

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي (التواصل)، أي: تحقيق عمليّة الفهم والإفهام، فهي التي تقوم بنقل الأفكار من المتكلم إلى السامع، أي: أنها تقوم بوظيفة (الاتصال)، أو (التوصيل).

وما توصله اللغة أو تنقله أو تعبّر عنه، هو الأفكار، والمعاني، والانفعالات، والرغبات، أو (الفكر بوجه عام)، ولذا نجد أنّ اللغة ينبغي أن تتطوّر، عبر الزمن، وذلك لحاجتها إلى التكيف مع حاجات الاتصال التي تطلبها الجماعة اللغوية التي تتكلم بها.

وعلى الرغم من أنّ الوظيفة الرئيسة للغة هي (التوصيل) للأفكار، والمُشاعر فإننا نجد للغة وظائف أخرى لا تبرز فيها هذه الوظيفة بصورة واضحة، ومن الأمثلة التي تبدو فيها وظيفة (التوصيل) غير أساسية: القراءة الانفرادية بصوت عالٍ، استعمال اللغة في الصلاة، والدعاء، والمناجاة مع الله تعالى. وقد عدّ اللغويون للغة وظائف أخرى، لكنها وظائف ثانوية، منها: أنّ اللغة واحدة من مقومات الوطن الواحد، وعامل في الوحدة الوطنية؛ لأنّ الشعب عندما يتكلم لغة واحدة سيُشعر أنّ اللغة تربط أبناءه بعضهم ببعض وسيلة للتّرابط القومي والدولي، فقد قامت تجمعات دوليّة تعتمد على أسس منها اللغة، كما نجد في تجمع الدّول العربيّة في (جامعة الدّول العربيّة). وسيلة للتّرابط الاجتماعي، فهي التي يحصل بها التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، فهي تستعمل في إلقاء التّحية والسؤال عن الصّحة وطلب المساعدة، وهي التي بها يقام الودّ وتتحقّق الألفة بين الناس، وسيلة للتسلية، فقد يتلاعب الإنسان بصوته، أحياناً، قصد المتعة.